سلسلة
البحوث العلمية

القلب السليم

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

بن سالم باهشام
أستاذ العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

القلب السليم

بن سالم باهشام
أستاذ العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

* * *

مقدمة

إن معرفة القلب وحقيقة أوصافه هو أصل الدين، وأساس طريق السالكين[1].

ولقد بيّن القرآن الكريم في كثير من الآيات أن القلوب هي مركز الهدى، وخصّها بكثير من الآيات لكونها مبعث الحياة، وسرّ النجاة، ومهبط النور.

وليس أَرْوَحَ للمرءِ، ولا أَطْرَدَ لهمومِه مِن أنْ يعيشَ سليمَ الصَّدْر؛ فقيمة

[1] - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ج3، ص8.

المؤمن إنما تَكْمُنُ في قَلْبه، وما يَحْمله هذا القلبُ مِن سُمُوٍّ وطُهْر، فهذا مِن أعظم نِعَم الله عليه؛ أنْ يَحْملَ صدرُه قلبًا سليمًا مِن الشحْناء والبغْضاء، نقيًّا مِن الغِلِّ والحسَد، صافيًا مِن الغدْر والخيانة، معافًى مِن الضغينة والحقْد، لا يُكنُّ قلبُه إلا المحبَّة والإشفاق على المسلمين، إذا رأى نعمة تَنْساق إلى أحدٍ رَضِي بها، وأحسَّ فضْل الله فيها، وفَقْر عبادِه إليها، وإذا رأى أذًى يَلحق أحدًا مِن خَلْق الله رَثَى لحاله، ودعا الله أنْ يُفَرِّج هَمَّه؛ وذلك لأن الأصل في الصدور أن تكونَ مملوءة بالمحبَّة للآخرين وإرادةِ الخير لهم. وقد يَنال المؤمنَ مِن أخيه أذًى، وقد يَكْرهه لذلك، أو يُعاديه انتصارًا لنفسه، لكن هذه العوارض لا تستمرُّ في القلب، ولا تتحوَّل إلى حِقْدٍ وضغينة، بل يظهر مِن نفسِه الطيِّبةِ التسامح والعفو[1]، وهذه مِن صفات أهل الجَنَّة - حين يدخلونها - صدُورُهم خالية مِن الأحقاد والأضغان؛ كما قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا

---

[1] - [محمد الغزالي، خُلُق المسلم؛ ص 92]، [أحمد الصويان، في البناء الدعوي؛ ص 95]، [د. عبد الرحمن الميداني، "الأخلاق الإسلامية وأسُسُها"؛ (1/ 787)]، [د.عبد الرحمن الزنيدي، "الطهر العائلي"؛ ص 120].

﴿فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1].

وهذا الخُلُق الجليل ، والمنْقبَة العظيمة ؛ مِن الجوانب الأخلاقيَّة الهامَّة التي يَهْتَمُّ بها الداعي في مخالطته للمدعوين، ويحثُّهم عليه، ويذكِّرِهم بقوله تعالى في سورة الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

"ذَكَرَ اللهُ في هذا الدعاء نفْي الغلِّ عن القلب، الشامل لقليلِه و كثيرِه، الذي إذا انتَفَى ثبت ضدُّه، وهو المحبَّة والموالاة والنُّصْح"[3].

---

[1] – سورة الحجر، الآية 47.

[2] – سورة الحشر، الآيتان 9، 10.

[3] – السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ –2000 م "؛ ص (790).

أولًا: لماذا القلب هو أهم عضو في الجسد؟

الاهتمام بالقلب وأنواعه وما يفيده وما يضره، وبمدى أهمية عبودية القلب؛ حقيقة تربوية ، وهي عبارة عن ترجمة لكتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما فيهما من نصوص متكاثرة ؛ تدلك على خطورة القلب، وأن صلاحه هو بداية التربية الإيمانية ومنطلقها الرئيس.

ثانيا: أسباب أهمية القلب

ترجع أهمية القلب لخمسة أسباب رئيسة:

1- القلب هو الملك الآمر:

السبب الأول لأهمية القلب، كونه هو الملك الآمر لسائر الجوارح، فهذا القلب هو المتحكم والمسيطر في جوارح العبد؛ بصلاحه يصلح، وبفساده

يفسد، كذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما : **« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**[1]، فالقلب ملك الجوارح، والجوارح جنوده ورعيته، فإذا صلح الملك صلحت رعاياه، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه.

وخلاصة القول يرصعها لك حجة الإسلام الغزالي – رحمه الله – في إحيائه؛ فيقول: (فالقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله، إذا صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه، إذ كل إناء بما فيه ينضح)[2].

---

1 – رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه 1/ 28 (52)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات 3/ 1219 (1599).

2 – إحياء علوم الدين، الغزالي.

2- سلامة القلب شرط في النجاة والفوز:

السبب الثاني لأهمية القلب، أن سلامة القلب هو شرط النجاة يوم القيامة من النار والفوز بالجنة، ففي ذلك اليوم الذي تبلى فيه السرائر، وينكشف المخفي في الضمائر، حينما يحضر العبد للعرض والحساب، وتنقطع عنه الأسباب، حينها لا ينجو من تلك الأهوال إلا أصحاب القلوب السليمة، التي امتلأت حبًّا لله وطاعته، وبغضًا في كل ما يسخطه تبارك وتعالى.

ولقد أدرك ذلك الخليل إبراهيم عليه السلام، فانبرى يناجي ربه، يثني عليه، ويدعوه بلسان الخائف الذليل؛ وهو يقول في سورة الشعراء: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا

مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1]، لقد كان إبراهيم الخليل – عليه السلام – يدرك طريق النجاة في ذلك اليوم، وأنه طريق واحد يمر عبر صلاح القلب لله رب العالمين، (وتجرده[2] من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفاؤه من الشهوات والانحرافات، وخلوه من التعلق بغير الله، فهذه سلامته التي تجعل له قيمة ووزنًا)[3].

3- القلب محل نظر الرب تعالى:

---

[1] – الشعراء: 69-89.

[2] – **الفرق بين الإخلاص والتجرد:**

يظن البعض أن الإخلاص هو التجرد لأنهما متقاربان في المعنى والمضمون، ومن الصعب كذلك التفريق بينهما، ولكن نقاط الفرق بينهما:

أ – قيل : إن الإخلاص أشمل وأعم من التجرد، لأن الإخلاص هو عبارة عن مجموعة من التجردات؛ فأنا أتجرد لله في العمل، وأتجرد لله في الفكرة، وأتجرد لله في القول.

ب – قيل: الإخلاص حق الله، والتجرد حق دعوته ودينه.

ج – قيل: الإخلاص يكون قبل العمل، والتجرد يكون أثناء العمل.

[3] – إحياء علوم الدين، الغزالي.

السبب الثالث والخطير لأهمية القلب، كون محل نظر الله تعالى؛ فكيف لا يستشعر العبد خطورة تلك القلوب التي في الصدور، وهي محل نظر الرب العظيم من عبده الذليل؟! كما قرر ذلك سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ فيما رواه مسلم في صحيحه: **(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)** [1]، من أجل ذلك؛ كان محرَّمًا على قلب فاسد مخلِّط أن يذوق طعم معارف الإيمان، وأن يتنور بفيوضاته، وللغزالي – رحمه الله – في ذلك استدلال لطيف، وقياس إيماني بديع على حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجه: **(إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة)** [2]، فيقول في إحيائه: (والقلب بيت هو منزل الملائكة، ومهبط أثرهم، ومحل استقرارهم، وأنَّى تدخله الملائكة وهو مشحون بكلاب وصور وشهوات؟!).

---

[1] – رواه مسلم، ح 6708.

[2] – رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

أما ابن عطاء الله السكندري – رحمه الله – فيوجز المسألة في إحدى حكمه فيقول: (كيف يرحلُ إلى الله تعالى وهو مكَبَّلٌ بشَهواته؟! أم كيف يطمع أن يدخل على الله وهو لم يتطهَّر من جنابة غفلاته؟!)[1].

4- القلب إكسير الأعمال وميزان التفاضل:

السبب الرابع لأهمية القلب، كونه ميزان التفاضل بين الناس بصلاحه لا بكثرة الأعمال؛ وهذا هو السر الذي سيظل به صحابة النبي صلى الله عليه وسلم دومًا في المقدمة إلى قيام الساعة، ذاك الذي باح به عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – إلى بعض تلامذته من جيل التابعين؛ فقال رضي الله عنه فيما رواه ابن شيبة في مصنفه : (أنتم أكثر صيامًا وأكثر صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

[1] – ابن عجيبة؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: 1419 هـ.

وسلم، وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة)[1]. وهذه نماذج ثلاثة تؤكد أهمية أعمال القلوب وكونها ميزان التفاضل:

أ – بعمل قلبيّ شُهد له بالجنة ثلاث مرات:

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ فيما رواه النسائي في "الكبرى" والبيهقي في "الشعب" وغيرهما: **(كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا. فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ**

---

[1] – رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ؛ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ؛ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ؛ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ

بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ)[1].

ب – السر في أفضلية جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة، على عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم:

تأمل سر تفوق جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة، على ثالثهما عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، وقد استشهد هؤلاء الثلاثة العمالقة في معركة مؤتة؛ فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني، ووثق الهيثمي رجاله: **(لقد رُفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب؛ فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارًا عن سريري صاحبيه، فقلت: بِمَ هذا؟ فقيل لي: مضيا، وتردد عبد الله بن رواحة بعض**

---

[1] – رواه النسائي في "الكبرى" (10699) والبيهقي في "الشعب" (6605) وغيرهما كلهم من طريق معمر عن الزهري عن أنس به. واختلف العلماء في هذا الحديث : فقال الهيثمي في "المجمع" (79/8) : " رجال أحمد رجال الصحيح ". وصححه الألباني . أولا. في "الضعيفة" (25/1) . ومنهم من أعله كالحافظ ابن حجر في "النكت الظراف" (1 / 394).

التردد، ومضى)[1]، والتردد مسألة قلبية، فيا حسرة المسلم الذي لا يزال مترددًا لم يعزم بعد على سلوك درب الطاعة! وكم سيفوته من درجات الجنان، وقد تخلف عن الركب، وقعد مع المتخلفين؟!

ج – السر في تفوق عبد الله بن المبارك على من معه

قصة عجيبة يحكيها لنا القاسم بن محمد عن عبد الله بن المبارك رحمه الله، ولكن مغزاها خطير، كما ذكرها ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة، يقول القاسم: (كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فُضل هذا الرجل علينا، حتى اشتُهر في الناس هذه الشهرة؟! إن كان يصلي إنَّا لنصلي، ولئن يصوم إنَّا لنصوم، وإن كان يغزو فإنَّا لنغزو، وإن كان يحج إنَّا لنحج، قال: فكنا في بعض مسيرتنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت، إذ طُفِئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح [أي يريد إشعاله]، فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد

---

[1] – رواه الطبراني، ووثق الهيثمي رجاله.

ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة؛ ذكر القيامة)[1].

إن دلت هذه القصة على شيء، فإنما تدل على سر التفاضل بين عباد الله تعالى، فسر التفاضل ليس في كثرة الصلاة والصيام والعبادات المختلفة، وإنما سر التفاضل يكمن في المضغة التي هي القلب، والتي إذا صلحت صلح كل شيء للعبد.

5- سلامة القلب مقدمة النصر والتمكين:

السبب الخامس لأهمية القلب، أن الله تعالى اشترط صلاح القلب لمن أراد النصر والتأييد في الدنيا قبل الآخرة؛ فقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2].

فصلاح قلوب المسلمين هو مقدمة شرطية لجني ثمار النصر والتمكين،

---

1 - صفة الصفوة، ابن الجوزي.

2 - سورة الأنبياء، الآية 105.

فما العبودية في حقيقتها إلا صلاح المضغة الخطيرة؛ بالحب والذل لرب العالمين؛ كما يقول ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع فتاواه: (والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل)[1].

ولعل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارتكن إلى تلك الحقيقة حينما طلب منه عمرو بن العاص رضي الله عنه مددًا قوامه ثمانية آلاف مقاتل لكي يستعين به في فتح مصر، بعدما استعصى عليه حصن بابليون، فأرسل الخليفة الراشد الثاني إليه مددًا ومعه رسالة يقول فيها في كنز العمال، للمتقي الهندي: (قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد)[2].

---

1 – مجموع فتاوى ابن تيمية.

2 – كنز العمال، المتقي الهندي.

ثالثا : أصناف القلوب

من خلال السياقات القرآنية المختلفة التي جاء الحديث فيها عن أنواع القلوب. يظهر أن **المرض القلبي** يمكن استفادته من الآيات التي تتحدّث عن مرض القلوب، وهناك آيات تتحدّث في مضمونها وسياقاتها عن **القلب الميت أو الكافر** ، إضافة إلى ما خصّه القرآن بالمدح وهو **القلب السليم** الذي تشير إليه آيات أخرى، وهذا الغزالي – رحمه الله – جعل القلوب ثلاثة، فقال في كتابه إحياء علوم الدين: « والقلوب في الثبات على الخير والشرّ والتردّد بينهما ثلاثة:

أ – قلب عُمِّر بالتقوى.

ب – وقلب مخذول مشحون بالهوى ومفتوح فيه أبواب الشياطين.

ج – وقلب تبدو فيه خواطر الهوى، فتدعوه إلى الشرّ، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير.»[1].

ومنهم من جعل القلوب ثلاثة كذلك إلا أنه لم يسمها بمثل ما سماها

---

[1] – الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص9 – 15.

الغزالي، بل قال:

أ - **القلب المنكوس :** وهو الذي لا يعي شيئاً من الخير؛ وهو قلب الكافر.

ب - **القلب الذي فيه نكتة سوداء :** فالخير والشرّ فيه يعتلجان فأيهما كانت منه غلب عليه.

ج - **القلب المفتوح:** فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة ، وهو قلب المؤمن.

وغير ذلك كثير ممن اختار أن يجعل القلوب بحسب أوصافها القرآنية.

أما نحن، فنميل إلى أنواع القلوب في القرآن من خلال الإشارة إلى **القلوب المريضة ، والقلوب الميتة ،** أي الكافرة، **والقلوب السليمة** ، جامعين بين القلب المريض بالنفاق ، والقلب المطبوع؛ على اعتبار أن القرآن قد ميّز بين القلب الكافر، والقلب المريض بالنفاق أو بالشهوات والشبهات، كما ميّز بين هذين القلبين والقلب السليم، جاعلاً لكل قلب من هذه القلوب أوصافاً وأعمالاً، هذا فضلاً عمّا خصّ به القلب السليم من مدح حيث قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ **إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ**

سَلِيمٍ ﴾[1]، وهذا يعني فيما يعنيه أن القلب الوافد على رحمة ربه ؛ هو قلب واحد؛ هو القلب السليم، وقد جعلت لهذا القلب أوصافٌ في القرآن، أما القلوب الأخرى، كالقلب الكافر، والقلب المريض بالنفاق، فقد ذمّهما القرآن، وأعدّ لهما عذاباً وسعيراً. مما يؤكّد لنا أن القرآن الكريم يكشف عن ثلاثة أنواع من القلوب؛ لكون الروايات قد جمعت بين القلب الأزهر والقلب السليم، وبين القلب المريض بالنفاق والقلب المريض بالذنوب والشهوات والشبهات.

وقد بيّن العلماء أن هناك العشرات من الآيات التي تخصّ كل قلب من هذه القلوب، باعتبار أن القلب هو جوهر الإنسان، وهو مركز الروح فيه، وحساب الإنسان إنما يكون بحسب ما يكون عليه في قلبه، فإن كان مريضاً – وقد بيّن القرآن أسباب وحالات مرض القلب– كان له ما يستحقه يوم تفد القلوب على ربّ العالمين، وإن كان كافراً أو مشركاً، فإنّه يكون له بحسب ما اختاره لنفسه، وإن كان قلبه سليماً، فله ما بحسبه أيضاً، ومن خلال ملاحظة الأوصاف ؛ يمكن أن نتوقف مليّاً

[1] – سورة الشعراء، الآية 89.

عند النصوص وسياقاتها ، لنستخلص الموقف المناسب حول كل قلب من القلوب.

وما دام أمر القلب بهذه المكانة، فإن السؤال الذي ينبغي على كل مسلم يريد سيرًا في طريق الله أن يطرحه على نفسه: أي قلب أحمل؟ وبأي قلب سألقى رب العالمين؟

وللإجابة على هذا السؤال المصيري، يأتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع لكل داعية النقاط على الحروف؛ روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: **« تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »، قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: « يَا أَبَا مَالِكٍ مَا «أَسْوَدُ مُرْبَادًّا»؟» قَالَ: «**

شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ». قَالَ: قُلْتُ: «فَمَا «الْكُوزُ مُجَخِّيًا»؟» قَالَ: «مَنْكُوسًا».)[1].

ما أبدع هذه البلاغة النبوية في وصف تأثير الفتن والشهوات على القلوب حتى تشوِّه صفاءَها وتسوِّد نقاءَها وتؤدِّي إلى انتكاسها.

فالفتن والشهوات تنسلُّ إلى القلب متتابعةً واحدةً بعد الأخرى كما ينسج الحصير عودًا عودًا،

أ – قلب المؤمن: فأمَّا قلب المؤمن العامر بحبِّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه كالصفا أي: كالحجر الأملس في صلابته وتماسُكه ونقاوته وعدم علوق شيءٍ به، فلا تضرُّه فتنةٌ ولا تستهويه معصيةٌ ولا يرضى بديلًا عمَّا ظفر به من حلاوة الإيمان في قلبه.

ب – القلب قليل الحب أو منعدمه : وأمَّا غيره ممَّن لم يتمكَّن حبُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في قلوبهم ، فإنَّ سهام الفتن وشهواتِ الدنيا تؤثِّر تدريجيًّا في ذلك القلب، وتشوِّه صفاءَه حتى يكون

---

[1] – أخرجه مسلم في الإيمان؛ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين (144).

« مُرْبَادًّا» وهو بياضٌ يسيرٌ مع السواد،

ج – القلب الأسود: إذا انساق العبد أكثرَ فأكثر وراء أهوائه اختفى أثرُ البياض الباقي واسودَّ القلب وأظلم.

وهناك وصفٌ آخر لهذا القلب المفتون وهو الكوز المُجَخِّي أي: الكأس المائل المنكوس، وهذا الميل كان في بدايته قليلًا بحسَب ما تسرَّب إليه من الفتن، ثمَّ ازداد ميلًا حتى انقلب وانتكس، ولا يخفى أنَّ الكوز كلَّما مال عن استقامته انسكب منه ما كان فيه بمقدار الميل، حتى إذا انتكس انسكب كلُّ ما فيه ولم يَعُدْ قابلًا لأنْ يمتلئ بشيءٍ على الإطلاق، حتى يعود إلى عدالته، فما فائدة الكأس إذا انسكب منه الماء الزلال ولم يبق فيه إلَّا الهواء؟

وهنا تتجلَّى البلاغة النبوية في أبهى صورها، بحيث تترسَّخ في النفس صورة الكأس المقلوب الذي لا يُنتفع منه بشيءٍ، فهو كالعدم ، وإن كان موجودًا، والهواء الذي فيه تمثيلٌ للهوى المستقرِّ في القلب ، المنكوس الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلَّا ما أُشرب من هواه !

وهذا شرُّ القلوب وأخبثُها، فإنه يعتقد الباطلَ حقًّا والحقَّ باطلًا[1].

فمن هذا الحديث الشريف نخلص إلى أن القلوب على أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: القلب السليم:

فالقلب السليم هو القلب الصحيح الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]،

القلب السليم هو أحد أنواع القلوب الصحيحة، الذي أنيطت به سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، وكان عليه المعول بتوفيق الله تعالى للنجاة من خزي يوم القيامة، وإنما قال تعالى: سليم، ولم يقل: سالم، لأن "فاعل" تفيد حصول الفعل وانقضائِه، كـ"داخل" و"خارج"، فهي صفة طارئة غير مستقرة، أما "فعيل" كـ "طويل" و"بخيل" و"عظيم"، فصفة مشبهة باسم الفاعل تفيد الثبوت والاستمرار والدوام، فالقلب السليم هو

---

[1] – منهاج الإسلام في تزكية النفس،لأنس كرزون (2/ 523).

[2] – سورة الشعراء، الآية 88.

الذي كانت سلامته ثابتة مستقرة دائمة، لا تحركها الأهواء، ولا تزعزعها الشبهات.

أ – العلامات الست لقياس القلوب السليمة:

رغم اتضاح معنى القلب السليم في ذهن كل مسلم، فإنه ينبغي معرفة سمات هذا القلب السليم، حتى يستطيع كل واحد منا أن يقيس حاله بدقة؛ فمن هذه العلامات، وهي ست علامات، نقيس عليها قلوبنا، فمن كان منا قائما بها، مجتهدا في تحصيلها، فهو من الفائزين، ومن وجد منا تقصيرا، فليشحذ همته، وليستنهض عزيمته،

فيمكّن لهذه العلامات من قلبه، ويجعلها ركيزة همه.

1 – السلامة من كل شهوة مخالفة للشرع ، أو شبهة معارضة للخبر:

القلب السليم كما قال ابن القيم رحمه الله، هو: (الذي قد سَلِمَ من كل

شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خَبَره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله صلى الله عليه وسلم).

فيكون القلب السليم سالما من فتنة الشبهات، ومن فتنة الشهوات، مسبقا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما سواهما، مقدما محبتهما على محبة سواهما، وهو ما جاء به وصف المؤمنين الصالحين في قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله في معنى الآية : "أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر". وقال رحمه الله: "ولا يتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء:

أ – السلامة من شرك يناقض التوحيد.

ب – السلامة من بدعة تخالف السنة.

ج – السلامة من شهوة تخالف الأمر.

د – السلامة من غفلة تناقض الذكر.

---

[1] – سورة الحجرات، الآية 1.

هـ- السلامة من هوى يناقض التجريد والإخلاص".

هذه هي العلامة الأولى: السلامة من الشبهات والشهوات.

2 – الإدبار عن الدنيا، والإقبال على الآخرة.

القلب السليم غريب في الدنيا مدبر منها، مشتاق للآخرة مقبل عليها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما رواه البخاري في صحيحه : "كُنْ فِي الدُّنيا كأَنَّك غَريبٌ، أو عَابِرُ سَبيلٍ". وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"[1].

قال الطوفي رحمه الله في المجالس السنية: (وهذا الحديث أصل في الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها، والرغبة عنها، والاحتقار لها، والقناعة فيها بالبلغة)[1].

---

[1] - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، (89/8)، برقم: (6416).

فالدنيا التي تقاتل الناس من أجلها، وسلب بعضهم مال بعض بسببها، وخاصم بعضهم بعضا في سبيلها، ليست إلا ظلا زائلا، وطريقا قصيرا لا يزيد عن يوم أو ليلة. قال تعالى في سورة النازعات : ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾[2].

لما احتُضِر أبو بكر بن حبيب – رحمه الله – ، وكان يُدرّس، ويعظ، وكان نعم المؤدب، قال له أصحابه: أوصنا. فقال: **أوصيكم بثلاث:**

أ – بتقوى الله عز وجل.

ب – ومراقبته في الخلوة.

ج – واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، و كأني ما رأيت الدنيا.

ثم قال لبعض إخوانه: انظر هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم. فقال: الحمد لله، هذه علامة المؤمن – يريد بذلك قول رسول الله صلى الله

---

1 – المجالس السنية (256).

2 – سورة النازعات، الآية 46.

عليه وسلم: **(الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ)**[1]، ثم بسط يده عند الموت، وقال:

هَا قدْ مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا *** بِالْفَضْلِ لا بِشَمَاتَةِ الأَعْـــدَاءِ

هذه العلامة الثانية: الإدبار عن الدنيا، والإقبال على الآخرة.

3 – سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد.

القلب السليم يتنزه عن الأحقاد، سالم من الكراهية والحسد، معصوم من الغل والإثم والبغضاء.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ ، صَدُوقِ اللِّسَانِ"، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ، قَالَ: " هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ")**[2].

---

[1] – صحيح سنن ابن ماجة.

[2] – رواه ابن ماجه: ح4216، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: 3397.

أ – شرح الحديث

مَخْمُومِ الْقَلْبِ : ومخموم القلب كما قال ابن عبد البر في الاستذكار: النقي، رجل مخموم القلب إذا كان نقي القلب، ليس فيه غل، وليس فيه حسد، وليس فيه حقد[1].

وفي مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح : خممت البيت إذا كنسته[2]. فالمعنى أن يكون قلبه مكنوسًا، يعني منظفًا، من كل ما سوى الله، وما لا يحبه، منظفًا من الأخلاط والأقذار، سليم القلب؛ كما قال الله في سورة الشعراء: **(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)**[3].

صَدُوقِ اللِّسَانِ : أما صدوق اللسان ، فكل مبالغ للصدق في لسانه، فيحصل به المطابقة بين تحسين لسانه وبيانه، فيخرج عن كونه منافيًا، أو مرائيًا مخالفًا.

---

1 – ابن عبد البر في الاستذكار: 7/45.

2 – مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح.

3 – سورة الشعراء، الآية 89.

التَّقِيُّ النَّقِيُّ : طاهر عن محبة غير الله، لا إثم عليه، فهو محفوظ، وبالغفران محظوظ، وبعين العناية ملحوظ، قال تعالى في سورة طه : **(وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)**[1].

لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ: ولا بغي: أي لا ظلم له،

وَلَا غِلَّ: لا حقد فيه،

وَلَا حَسَدَ : لا يتمنى زوال النعمة عن الغير، لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من الخالق.

وما ذكره النبي – صلى الله عليه وسلم – في جوابه في هذا الحديث، فيه بيان من يَستحق أن يوضع على "لائحة الشرف" أو "لائحة الأفضلية" من المنظور الإسلامي، وهو بالتأكيد خلاف المعايير الدنيوية والمنظور الجاهلي.

ب – السبيل إلى القلب المخموم

---

[1] – سورة طه، الآية 39.

في الحديث فضل القلب النظيف ، وهو معنى المخموم، قال ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث": (هو من خممتُ البيت إذا كنستَه).
وهذا يتطلب مجاهدة قوية لتنظيفه من أهواء البغي والغِلّ والحسد، وما أكثر تلوُّثَ القلوبِ بها! وفي الحديث كذلك فضل صدق اللسان والتزامِهِ الحقيقة، ولا تخفى شناعة وبشاعة الكذب، وهو من أخبث الصفات وأدلِّها على اهتزاز ثقة الإنسان بنفسه، أو توسُّله بالكذب لفعل الشرّ ، أو للتعالي على الناس، أو للخداع الكاذب لإظهار ما ليس فيه.
هذه هي العلامة الثالثة: سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد.

4 – الفرار إلى الله، وترصد حلاوة الإيمان بالإقلاع عن المعاصي.

القلب السليم يفر إلى الله حين يغفل عنه الغافلون، ويفزع إلى الله حين يتعلق بغيره المحرومون، ويحس بلذة القرب من الله حين يبتعد عنه اللاهون، وهي حلاوة الإيمان المتولدة عن حب حقيقي يربط القلب السليم بربه. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم :

(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[1].

أقوال بعض العارفين بالله

أ – قال بعض العارفين بالله: (مساكينُ أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب فيها؟ قال: محبة الله، والأنسُ به، والشوقُ إلى لقائه، والتنعمُ بذكره وطاعته).

ب – قال آخر من العارفين بالله : (إنه ليمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب).

ج – من جميل حكم أبي سليمان الداراني رحمه الله قوله: (مَن صَفَّى صُفِّي له، ومَن كدَّر كُدِّر عليه، ومَن أحسنَ في نهاره كوفئَ في ليله، ومَن أحسنَ في ليله كوفئَ في نهاره، ومن صَدق في ترْك الشهوة، ذَهَب الله بها مِن قلبه، والله أكرمُ مِن أن يُعذِّب قلبًا بشهوة تُرِكت له). ولقد صدق، فقد يتأثر القلب بالمعاصي، فيجد غبها عيانا، عاجلا أو آجلا.

---

1 – متفق عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه المنذري : **(وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّق بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا)**[1].

د – قال ابن الجلاد: (نظرت منظرا لا يحل لي، فقال لي أحد الصالحين: أتنظر إلى الحرام؟ والله لتجدن غِبَّهُ ولو بعد حين. قال: فنسيت القرآن بعد أربعين سنة).

هـ – قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه، بالخطيئة يعملها).

فلا يغتر أحدنا بلطف الله به، ولا بستره معصيته، فالله تعالى يمهل العاصي ليتوب ويؤوب. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)**[2].

---

1 – صحيح الترغيب.

2 – رواه مسلم.

فهذه العلامة الرابعة: الفرار إلى الله، وترصد حلاوة الإيمان بالإقلاع عن المعاصي.

5 – صحبة ومجالسة الصالحين

ويسلم القلب بصحبة الصالحين ومجالستهم، وهم الذين يَذكرون الآخرة، ويحذرون الخاسرة، وينصحون جلساءهم بتقوى الله، ويخوفونهم عذاب الله. سأل رجل الحسن البصري – رحمه الله – قال: (يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكادَ قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمنا، خير من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف).

وبذلك يدفع القلبُ السليم الخائف خِذلانَ الشيطان عند أخطر لحظة يعيشها الإنسان في الدنيا، وهي لحظة الموت. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (إن الذنوب والمعاصي والشهوات ، تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف

الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة، قال تعالى: "وكان الشيطان للإنسان خذولا"[1].

وهذه العلامة الخامسة: مجالسة من يذكر الآخرة، ويرغب في الجنة.

6 – المسالمة والمساكنة، والجنوح إلى الرفق والحلم.

القلب السليم قلب مسالم، مهادن، ساكن، يميل إلى المصالحة، ويجنح إلى المساكنة، يستمد من ربه صفة الرفق، فلا يعنف، وصفة الحلم، فلا يغضب ولا ينتقم، كما يستمد من ربه عز وجل صفة اللطف، فلا يغلظ ولا يخشن. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد بسند صحيح: **(إنَّهُ سيكونُ بعدي اختلافٌ أو أمرٌ، فإنِ استطعتَ أن تكونَ السِّلْمَ فافعلْ)**[2].

قال ابن القيم رحمه الله: (فَلِلَّهِ هاتيك القلوب، وما انطوت عليه من

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 29.

[2] – رواه أحمد وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الضمائر، وماذا أودعته من الكنوز والذخائر، والله طيب أسرارها، ولاسيما يوم تبلى السرائر).

وهذه العلامة السادسة: المسالمة والمساكنة، والجنوح إلى الرفق والحلم.

ب – فروع لعلامات القلب السليم

هذه الفروع تابعة للعلامات الست السالفة الذكر، وتم ذكرها منفصلة لأهميتها؛ من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته.

1. الوقوف ضد الظلم والظلمة

ورد اصطلاح « **القلب السليم** » في القرآن الكريم في موضعَين هما معا عن موقف خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي كان أمة واحدة ضد الظلم والظلمة، وأكبر ظلم تصدى له هو الشرك بالله،

أ – الموضع الأول في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**

* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ *أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

ب – الموضع الثاني في سورة الصافات، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا

---

[1] – الشعراء، الآيات 69-89.

بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ *﴾[1].

إبراهيم عليه السلام لم يقع في الشرك قط. وبهذا تميز عن كل البشر وفق ما نفهمه من القرآن الكريم ، فتكرر وصفه عليه السلام بأنه ما كان من المشركين، وأنه كان حنيفا مسلما، وأنه جاء ربه في حياته الدنيا وهو بقلب سليم نقي نظيف من الشرك. وأنه مذ كان فتى قام بتكسير الأصنام متحديا قومه، وأنه قد آتاه الله جل وعلا رشده من قبل. إبراهيم عليه السلام، لم يكن منعزلا عن قومه فارا منهم ، بل أتى الله بقلب سليم حركة وسيرا، ولا يسير إلى الله إلا القلب السليم، أما القلب المريض أو القاسي ، فلا يسير إلى الله عز وجل. وهكذا الأمر بالنسبة لجند الله في كل زمان ومكان، إن مصير الأمة لا يكون في الاتجاه الصحيح إلا إذا كان كل مؤمن وكل مجاهد يسير على أمر الله عز وجل، فيسعى للقائه بتطبيق أمره سبحانه ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة وإخلاصا. فأصحاب القلوب السليمة لا تخشى إلا الله؛ فلا

---

[1] – سورة الصافات، الآيات 83 – 96.

تخاف في الله لومة لائم. يقول ابن تيمية رحمه الله: (إذا كانت في القلب معرفة وإرادة ، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، فلا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. العلم وحده لا يكفي ، فلا بد من العلم والإرادة). ويعقب الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله قائلا في هذا الباب: (إذا صارت المعرفة إلى القلب ، وتنورت بالعلم ، حتى أصبحت في القلب إرادة قوية،لا يمكن إلا أن يطيعها البدن ، وأن تطيعها القوى المعاكسة للإسلام). ويضيف قائلا: (القلوب السليمة التي تأتي إلى الله عز وجل، هي التي تقوم بالجهاد ، وليس لها من الهم إلا الله سبحانه، هذه القلوب وحدها التي يمكن أن تقوم بواجبات الجهاد ومقتضياته).

2. الحزن عند فوات الطاعة:

فإذا فاتته صلاة ، أو فاته باب للخير، فإنه يحزن بشدة لضياع ذلك الخير؛ فله مع مجموعة من السلف نصيب ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أ – نماذج ممن حزنوا عند فوات الطاعة

- أنس بن النضر رضي الله عنه:

هو من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يوم أن فاته شرف إعزاز الدين بالجهاد في سبيل الله في غزوة بدر، فقال فيما رواه البخاري في صحيحه: **(لئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد)**[1]، ثم جاء يوم أُحد، الذي سيوفي فيه هذا الهمام بعهده مع ربه، وفي غضون أحداث المعركة ينكشف المسلمون، فينظر الرجل إلى صفوف المشركين فيقول: **(اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء)**، ثم ينظر إلى من ضعف أو قعد أو تراجع من إخوانه؛ فيقول: **(وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء)**، ثم يندفع اندفاعة المشتاق إلى أعالي الجنان، فيقاتل في سبيل ربه حتى يموت شهيدًا مرضيًّا، وفي جسده بضع وثمانون جرحًا، قد تنوعت مصادرها؛ ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، حتى لم يعرفوه بعد المعركة، إلا أخته التي عرفته ببنانه)[2]،

---

1 - رواه البخاري.

2 - رواه الترمذي، وصححه الألباني.

– كرز بن وبرة رحمه الله.

وهذا صاحب قلب سليم آخر ، قد أصابه الحزن على فوات طاعة عليه، إنه حزن لفوات شرف الانتساب إلى زمرة الذين كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، إنه كرز بن وبرة رحمه الله، حينما وجدوه حزينًا باكيًا، فقيل له: (ما يبكيك؟ فقال: بابي مغلق، وستري مسبل، ولم أقرأ حزبي البارحة، وما ذاك إلا بذنب أحدثته)[1].

3. الثبات أمام المغريات:

صاحب القلب السليم صلب أمام المغريات الداعيات إلى معصية الله تعالى؛ فهو قلب يوسفي العزيمة، يرفع شعار الصدِّيق أمام كل فتن وشهوات الأرض، كما قال تعالى في سورة يوسف : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي

---

1 – إحياء علوم الدين، الغزالي.

أَحْسَنَ مَثْوَايَ)[1]، تمامًا كما وصفه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: **(أبيض مثل الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض)**[2].

إنه قلب صلب العزيمة، قد خبرته الفتن والشهوات ، فوجدت صاحب نجابة، إذ وجدت سوقها عنده كاسدة، بعد أن تعوَّدت نفسه طاعة الله تعالى، فما عاد يحسن معصيته، كما قالت إحدى الصالحات لبنيها: (تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا الطاعة، فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية؛ مرت المعصية بهم محتشمة، فهم لها منكرون)[3].

4. الدموع الغالية:

---

1 – سورة يوسف، الآية 23.

2 – رواه مسلم.

3 – جامع العلوم والحكم، ابن رجب.

دموع الحياة، فإن لأصحاب القلوب الحية دموعًا غالية، قد أبت أن تسيل إلا خشية من الرب الجليل، أو شوقًا إليه، أو شفقة ورحمة بعباده؛ فكأنهم من وصفهم الله بقوله في سورة مريم: ﴿ **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[1].

تلك الآية التي كان يقرأها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فيسجد فيها سجود التلاوة، ثم يعاتب نفسه فيقول فيما رواه البيهقي في شعب الإيمان: **(هذا السجود ، فأين البكاء؟!)** [2]، إن دموع أصحاب القلوب الحية غالية؛ لأن ثمنها سكنى الفردوس، ببشرى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي: **(لا يلج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع)**[3].

إنها دموع غالية؛ لأن ثمنها هو الفوز بالجلوس في ظل عرش

---

[1] – سورة مريم، الآية 58.

[2] – رواه البيهقي في شعب الإيمان.

[3] – رواه الترمذي، وصححه الألباني.

الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله، في يوم تدنو فيه الشمس من رءوس الخلائق مقدار ميل، ويبلغ العرق والكرب بهم مبلغًا عظيمًا، لكن أصحاب القلوب الحية بدموعهم الغالية قد انتسبوا إلى زمرة: **(ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)**[1].

أما من جفَّت دموعه، فأولئك الذين يقول فيهم ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد: (ومتى أقحطت العين من البكاء من خشية الله؛ فاعلم أن قحطها من قسوة القلب، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي)[2].

فسل نفسك أيها المسلم، وسلي نفسك أيتها المسلمة، الراغب والراغبة في جنات النعيم: هل بكيت يومًا من خشية الله؟

هل تذكر مرة طاف بخيالك ماضٍ كنتَ فيه بعيدًا عن ربك، ثم تذكرت كيف أخذ بيديك، ودلَّك عليه، وأدخلك من بابه، فبكيت حبًّا لربك وشوقًا إلى لقائه؟

---

1 – متفق عليه.

2 – بدائع الفوائد، ابن القيم.

هل جلست مرة حيث لا يطَّلع عليك إلا الذي يعلم السر وأخفى، فتفكرت في حال أمتك الحزينة، وتذكرت عزًّا سالفًا للإسلام، فبكيت شوقًا إلى أيام المجد التليد، وحزنًا على ما آل إليه حال أمتنا السليبة؟

إن كنت واحدًا من هؤلاء؛ فأبشِر، فيُرجى لك أن تكون من أصحاب القلوب النابضة، التي تؤهلك لمجاورة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في جنات الخلد.

من هنا نستخلص الأمر الجامع في معنى القلب السليم رغم اختلاف عبارات الناس في ذلك:

- الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه. - ومن كل شبهة تعارض خبره.

- فسلم من عبودية ما سواه،

- وسلم من تحكيم غير رسوله صلى الله عليه وسلم،

- فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله صلى الله عليه وسلم في خوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه، والذل له وإيثار مرضاته في كل

حال، والتباعد من سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده،

– فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وإخباتا وخشية ورجاء وخلص عمله لله[1].

الصنف الثاني من القلوب:هو القلب المريض:

(فهو قلب له حياة وبه علة، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه، ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه

[1] – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، 1395 – 1975، تحقيق : محمد حامد الفقي ج1/ ص7.

وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين؛ داعٍ يدعوه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة)[1].

الصنف الثالث من القلوب: القلب الميت:

(الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط ... فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه)[2].

رابعا: ماذا خسر المسلمون بغياب القلوب السليمة؟

1 – ما انتشرت هذه الحروب بيننا اليوم؛ إلا بسبب غياب القلوب السليمة.

2 – ما كثرت الخصومات بيننا، إلا بسبب الصدور الحاقدة.

---

1 – إغاثة اللهفان، ابن القيم.

2 – إغاثة اللهفان، ابن القيم

3 – ما عظمت مشاكل المسلمين اليوم حتى اختلفوا فيما بينهم، وفشلوا في مدافعة أعدائهم، وذهبت ريحهم في اقتحام مجالات التقدم والريادة، إلا باستيلاء القلوب المتنافرة.

فلا مناص من معالجة قلوبنا، وردها إلى حكمة القرآن في ضوابط التواصل بيننا، ومنهج السنة في سلامة علاقاتنا، والله يتولى الصالحين.

خامسا: أثر التربية في حياة القلوب وسلامتها

لم يُخلق الإنسان سدى، ولم يترك هملاً، وإنما اختير له أن يكون خليفة في الأرض، وحاملاً للأمانة، مميّزاً عن سائر الكائنات بما خصّ به من عقل وقلب وحواس، حيث أراد الله تعالى له أن يتربّى ويصنع على عينه تعالى فيما أوحاه إليه من دين، وفطره عليه من توحيد، فكانت له تربيته الخاصة، وهدايته التشريعية بعد التكوينية لأجل أن لا يخاف ولا يحزن، ولا يضلّ ولا يشقى، بل يسعد في دينه ودنياه وآخرته.

وهذا ما يطالعنا به القرآن في لحظة الهبوط الآدمي إلى الأرض التي أراد الله تعالى أن يكون الإنسان خليفته فيها، فقال له في سورة البقرة: ﴿

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وقال له في سورة طه: ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾**[2]، وقد جاء هذا الهدى لهدي القلوب ، وإرشاد العقول إلى سبل السعادة والكمال، فمن أخذ به فقد أخذ بحظّ وافر ، ونال شرف الانتماء للسماء فيما اختاره لنفسه من دين قيّم، وتعاليم سمحة ليفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة...

وهنا تجدر الإشارة إلى أن قلوب الناس وعقولهم لم تترك لتكون كالنبات التي ليس لها زارع، ولا لاختلاف أحوالها صانع، بل هي كالشجرة ، عهد إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام تربيتها لإخراجها من الظلمات إلى النور ، وهدايتها إلى سبيل الرشاد من خلال إثارة دفائن عقولها حتى تهتدي إلى نور ربها فتتحقّق به.

---

1 - سورة البقرة، الآية: 38.

2 - سورة طه، الآية 123.

وتسلم المشعل من بعدهم المرشدون، لما أجمع عليه العلماء وأهل الحكمة بأن القلب هو خزانة كل جوهر للعبد نفيس، وكل معنى خطير، أولها العقل، وأجلّها معرفة الله تعالى التي هي سبب سعادة الدارين... وهذا القلب ما كان ليترك دون عناية ولا هداية لكي تستبدّ به الأهواء، وتأخذ به المضلات إلى حيث لا سعادة ولا منازل ولا درجات، فجاء الوحي مع الأنبياء عليهم السلام لتتميم مكارم الأخلاق، وتربية العقول والقلوب وتطهيرها لإجلاء الشياطين عنها، ولهذا نجد أن أكثر آيات القرآن فيما خوطب به الإنسان تأتي بمفردة « ربّك»، كما في قوله تعالى في سورة العلق : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[1]، وقوله تعالى في سورة الانفطار : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات التي تستوقف الباحث طويلاً لاستكناه معنى التربية في خط الهداية للقلوب والعقول لكي لا يطالها الختم، والطبع، والقفل، وغير ذلك مما وصفت به القلوب المريضة بسبب هجرانها لأسباب

---

1 – سورة العلق، الآية: 1.

2 – سورة الانفطار، الآية: 6.

حياتها، فالتربية هي عبارة عن التنمية، أي إظهار القابليات الكامنة في باطن الإنسان، والموجودة بالقوة فيه إلى مرحلة الفعلية، ولذا تصدق التربية فقط على ذات الأرواح، وإن استخدمنا هذه الكلمة في غير ذات الأرواح، فيكون ذلك مجازاً. ، وإلى مثل هذا ذهب العلاّمة مغنية في كتابه فلسفة الأخلاق في الإسلام [1]، وسيّد قطب في كتابه معالم في الطريق[2]، حيث رأوا أن الدين يوفّر التربية الصحيحة للإنسان لتكون له السلامة في الباطن والظاهر.

سادسا: خطوات إصلاح القلب:

قبل الحديث عن خطوات إصلاح القلب، هناك أمر مهم ينبغي الإشارة إليه، وهو: "القلب مهما بلغ مرضه، واشتدت قسوته فإنه يحمل إمكانية العودة للصحة"، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

---

[1] - مغنية، محمد جواد، فلسفة الأخلاق في الإسلام، بيروت، دار الجواد، ط5، 1992م، ص194.

[2] - سيد قطب، معالم في الطريق، دار دمشق، ص219.

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُو ﴾[1]. يعاتب الله المؤمنين، بقوله ﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾

شرح الآيات

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم، وتخشع لذكر الله الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟

وفيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.

﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾

---

[1] – سورة الحديد، الآيتان 16، 17.

أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل الله وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب قسوة القلب وجمود العين[1].

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..... ﴾

فيه إشارة إلى أنه عز وجل، يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويُفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية

---

[1] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، موضع السورة الآية.

ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل[1].

والطريق إلى صفاء القلب وطهر الروح من التحاسد والتباغض؛ طريق سلكها من سبقونا بإيمان، وعينوا لنا صُوى منيرة ومنارات مضيئة نذكر منها:

1- الدعاء الاضطراري مفتاح الطريق:

فبقوة الرغبة ، وشدة الحاجة إلى وجود القلب السليم، واليقين بأن الله وحده هو القادر على ذلك.

يتحقق المطلوب بإذن الله تعالى، قال سبحانه في سورة النمل : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

1 - تفسير القرآن العظيم، موضع السورة والآية.

2 - سورة النمل، الآية 62.

فعلينا أن نستغيث بالله؛ وأن ندخل في جلباب الذل، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1].

• قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فيما رواه مسلم في صحيحه : (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا. فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ. ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ. فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

---

[1] – سورة الأنفال، الآية 9.

مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ[2].

• ولا يكفي الدعاء مرة أو مرتين ثم الانصراف، بل لابد من الإلحاح والمداومة دون كلل أو ملل، روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **(يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)**[3].

هذا هو المفتاح الذي من فقده ضل الطريق، قال ابن رجب في شرح حديث لبيك اللهم لبيك:

(كان رجل من أصحاب ذي النون يطوف في السكك يبكي، وينادي: أين قلبي؟ أين قلبي؟ من وجد قلبي؟! فدخل يومًا بعض السكك فوجد صبيًا يبكي وأمه تضربه، ثم أخرجته من الدار وأغلقت الباب دونه.

فجعل الصبي يلتفت يمينًا وشمالاً، ولا يدري أين يذهب، ولا أين يقصد ، فرجع إلى باب الدار، فوضع رأسه على عتبةٍ فنام. فلما استيقظ جعل

---

1 – سورة الأنفال، الآية 9.

2 – أخرجه مسلم (1763).

3 – متفق عليه: أخرجه البخاري (6340)، ومسلم (2735).

يبكي ويقول: يا أماه من يفتح لي الباب إذا أغلقت عني بابك، ومن يُدنيني من نفسه إن طردتني، ومن الذي يؤويني إذا غبت عليَّ. فرحمتهُ أمه، فقامت فنظرت عليه من خلل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خده متمعكًا في التراب. ففتحت له الباب وأخذته حتى وضعته في حجرها. وجعلت تقبله وتقول: يا قرة عيني وعزيز نفسي، أنت الذي حملتني على نفسك، وأنت الذي تعرضت لما حل بك، لو كنتَ أطعتني لم تلق مني مكروهًا. فتواجد الرجل، ثم قام وصاح، وقال: قد وجدتُ قلبي، قد وجدتُ قلبي)[1].

2 – إصلاح القلب ومداومة علاجه:

الدعاء دون أخذ بالأسباب تواكل، لهذا بين سبحانه وتعالى في سورة آل عمران بعد ذكر أدعية أولي الألباب أنه سيستجيب للعاملين المجاهدين، وليس للقاعدين المتواكلين:

---

[1] – شرح حديث لبيك اللهم لبيك ص 140–141.

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم : **(ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)** [2]. لهذا لابد من بذل المجهود لسلوك كل الأبواب لإصلاح القلب دون تكاسل أو توان.

3- صحبة الأخيار وقطع الصلة بالأشرار

لأن المعاني القلبية تسري وتشع من قلب سليم إلى غيره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**، ورحم الله عبد القادر الجيلاني الذي ما فتئ يسدي نصيحته

---

[1] - سورة آل عمران، الآية 195.

[2] - رواه الشيخان البخاري ومسلم.

الغالية فيقول: (اصحب أرباب القلوب حتى يصير لك قلب). لابد لك من مرب حكيم، عامل بحكم الله عز وجل، يهديك ويعلمك وينصحك.

قال الطالب الخبير بما يطلب:

ما الناس إلا الصالحون حقيقة *** وسواهـم متطفل فـي الـناس
كم بين أموات زمـان حياتـهم*** معنى وأحيـاء مع الأنفلس
فإذا ظفرت بصالح فاشدد بـه*** كفيك تشدد بالطبيب الآسـي

واحذر من مجالسة مرضى القلوب، قال تعالى في سورة النساء:

(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)[1].

4 – الإكثار من ذكر الله :

بالأذكار يتطهر القلب ويتنور ويعمّر، وأذكار التطهير والتنوير والتعمير هي: الاستغفار والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم والكلمة الطيبة لا إله إلا الله، بالإضافة إلى المحافظة على أذكار الصباح

[1] – سورة النساء، الآية 63.

والمساء، وأذكار المناسبات، قال الله تعالى في سورة الحديد : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[1]. قال ابن القيم – رحمه الله– : (في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى؛ فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى). وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: (يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أذبه بالذكر). لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل، والذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرض ودواؤها ذكر الله تعالى.

5 – الدعاء والاستغفار لأخوانك في الله:

وليس المقصود بالدعاء لإخوانك من لك بهم علاقة وطيدة فقط، وإنما الدعاء والاستغفار بالخصوص للذين لك معهم سوء تفاهم، فالدعاء لهم علاج ناجع يصفي القلب ، ويريح النفس ، ويذهب كيد الشيطان، قال

[1] – سورة الحديد، الآية 16.

تعالى في سورة الحشر: (وَالّذِينَ جَآءُو مِن بَعدِهِم يَقُولُونَ رَبَنَا اغفِر لَنَا وَلإخوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلاَ تَجعَل في قُلُوبِنَا غِلاً لِلّذِينَ ءامَنُوا رَبَنَا إنّكَ رَءُوفٌ رّحِيم)[1].

6 – القرآن دليلنا وسائقنا:

فقراءة القرآن وتدبره هو الدواء لكل داء، قال تعالى في سورة فصلت:

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[2].

وقال سبحانه في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[3].

يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة،

---

[1] – سورة الحشر، الآية 10.

[2] – سورة فصلت، الآية 44.

[3] – سورة النساء، الآيتان 174، 175.

والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده.

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية ، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم. ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، وأمر بكل عدل وإحسان وخير، ونهى عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره. قال تعالى

[1] – سورة فصلت، الآية 53.

في سورة الإسراء: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

والناس – بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به– قسمان:

القسم الأول:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ﴾[2]، أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب.

﴿ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ﴾[3]، أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه وتبرأوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم.

﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ﴾[4]، أي: فسيتغمدهم بالرحمة

---

1 – سورة الإسراء، الآيتان123 – 124.

2 – سورة النساء، الآية 175.

3 – سورة النساء، الآية 175.

4 – سورة النساء، الآية 175.

الخاصة، فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات.

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[1]، أي: يوفقهم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به.

القسم الثاني:

فالذي لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، هؤلاء منعهم الله من رحمته، وحرمهم من فضله، وخلى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالا مبينا، عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة[2].

7 - إفشاء السلام:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

[1] - سورة النساء، الآية 175.

[2] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان صـ 237.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)**[1]. ولله در الشاعر إذ أنشد:

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم ***ود فيزرعه التسلـــــــيم واللطفُ

8 – محبة الخير للمسلمين جميعا:

لتحقيق سلامة القلب لابد أن يتمنى المؤمن الخير للمسلمين جميعا، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[2].

9 – الصدقة:

الصدقة التي يبتغى بها وجه الله، مطهرة للقلوب، ومزكية للنفوس، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(داووا مرضاكم بالصدقة)**[1]. فالأجدر للقلب

---

1 – رواه الإمام مسلم.

2 – رواه الشيخان.

المريض من الصدقة قبل غيره من مرضى الأجساد، ليشفى بإذن الله تعالى.

10- الابتعاد عن الغيبة والنميمة ومجالسها.

اللسان هو المترجم للقلب، وبصلاح اللسان يصلح القلب، والحديث في الناس بما فيهم وفي غيبتهم ويكرهون سماعه لو كانوا حاضرين يسمى غيبة تدنس الألسنة والقلوب، ونقل الكلام من شخص لآخر مما يسبب في التفرقة والعداوة بين الأفراد يسمى نميمة وتقسي القلب، وتجعل صاحبها من شرار خلق الله لتفريقه بين الأحبة، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد في المسند : **(لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)**[2].

---

[1] - الصحيح الجامع.

[2] - رواه الإمام أحمد.

11 - علاج الفتور وضعف الهمة:

قد يقول قائل: أنا مقتنع بكل ما سبق؛ ولكنني أجد في نفسي فتورًا، وأستشعر ضعف عزيمتي، وإرادتي، مما يجعلني غير قادر على الدعاء بهذا الإلحاح، والأخذ بهذه الأسباب. ولنفسي ولمثل هذا أقول: روى الترمذي عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)**[1].

فهذا الحديث يضع نقطة البداية لمن ضعفت عزيمته، فمن استشعر أهمية ما يريد، وخاف ضياعه، فإنه لا ينتظر إلى الصباح ليذهب إليه، بل يبادر بالسير ولو ليلاً، ومن كانت هذه همته وصل إلى مقصوده.

فكيف بأعظم وأغلى سلعة والتي هي "الجنة"، أليس من الحري المبادرة إلى تحصيلها مثل المبادرة على تحصيل السلع الأخرى إن لم يكن أشد؟!

---

[1] - أخرجه الترمذي (2450)، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر. وقال الألباني في الصحيحة (2335): صحيح بمجموع طرقه.

ولنتذكر دائمًا أن الذي يحول بيننا وبين السير إلى الله وإلى جنته، والنظر إلى وجهه هو الموت، مفرق الجماعات، والذي يأتي بغتة دون سابق إنذار. إن أهل القبور يتمنون جميعًا العودة إلى الدنيا ولو للحظة قصيرة ليسبحوا أو يركعوا أو يسجدوا لله عز وجل، فلنكثر إذن من ذكر الموت ولنعدّ لها العدة قبل نزولها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد في المسند وغيره: **(أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ" يَعْنِي الْمَوْتَ)**[1].

قَوْلُهُ: **(هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)** بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ: أَيْ قَاطِعَهَا.

قَالَ الْإِسْنَوِيُّ فِي الْمُهِمَّاتِ: الْهَاذِمُ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ هُوَ الْقَاطِعُ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا[2]، وَقَدْ صَرَّحَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأُنُفِ بِأَنَّ

---

[1] – أخرجه أحمد (7925)، والترمذي (2307)، والنسائي (1824)، وابن ماجه (4258)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال ابن حجر في الفتوحات الربانية (5/ 67): حسن لشواهده.

[2] – قَالَ مَيْرَكُ: صَحَّحَ الطِّيبِيُّ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ حَيْثُ قَالَ: شَبَّهَ اللَّذَّاتِ الْفَانِيَةَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ ثُمَّ زَوَالَهَا بِبِنَاءٍ مُرْتَفِعٍ يَنْهَدِمُ بِصَدَمَاتٍ هَائِلَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ الْمُنْهَمِكَ فِيهَا بِذِكْرِ الْهَادِمِ

الرِّوَايَةَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ[1].

فإن وجدنا صعوبة أو انشغالاً يحول بيننا وبين كثرة ذكر الموت، فلننتهز فرصة مواسم الطاعات، ففيها يزداد الإيمان، ويذهب الفتور، ويسهل قيادة النفس.

هذا هو السبيل للقلب السليم، فلنقبل عليه، ولنترك أنفسنا له، ولنتخذه دليلاً إلى الله، وإلى صراطه المستقيم.

لِئَلَّا يَسْتَمِرَّ عَلَى الرُّكُونِ إِلَيْهَا، يَشْتَغِلَ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْفِرَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ انْتَهَى كَلَامُهُ.

[1] – ذَكَرَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَتْلِ وَحْشِيٍّ لِحَمْزَةَ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُصَحِّحْ الْخَطَّابِيُّ غَيْرَهُ وَجَعَلَ الْأَوَّلَ مِنْ غَلَطِ الرُّوَاةِ كَذَا فِي الْمِرْقَاةِ.

الخاتمة

ونختم ببعض الفوائد حول القلب السليم نذكرها تكميلاً للفائدة:

الفائدة الأولى:

إن قوله تعالى في سورة الشعراء: **(بقلب سليم)** جمع جوامع كمال النفس، وهذه الجوامع مصدر محامد الأعمال[1].

الفائدة الثانية:

أنه يلزم من سلامة القلب من الشرك والشك...اتصافه بأضدادها، من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تابعاً لما جاء عن الله[2].

الفائدة الثالثة:

وضع القرآن الكريم "القلب السليم" مقابل المال والبنين، ولهذا دلالته؛ وذلك أن كثيراً ما يكون المال وكذلك البنون حاجزاً بين الإنسان وبين سلوك سبيل الرشاد، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى محذراً ومنبهاً في

---

1 – ذكرها الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

2 – ذكرها السعدي.

سورة الكهف : **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا)**[1]، وقال تعالى في سورة الأنفال:

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة)[2].

والاهتمام بالقلب أمر غاية في الأهمية، وقد غفل عنه كثير من الناس، وليس يخفى أن التوجه إلى هذا القلب إصلاحاً ومراقبة وتصحيحاً، كي يغدو قلباً سالماً وسليماً، أمر مما لا ينبغي أن يُغفل عنه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

1 – سورة الكهف، الآية 46.

2 – سورة الأنفال، الآية 28.

الفهرس

المصادر والمراجع

1 - **ابن تيمية؛** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، **مجموع فتاوى** شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (مجموع الفتاوى)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة النشر: 1425 - 2004.

2 - **البخاري؛** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، **صحيح البخاري**، الناشر: دار ابن كثير - دمشق بيروت، سنة النشر: 1423 - 2002، الطبعة الأولى.

3 - **الغزالي ،** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

4 - **كرزون؛** أنس أحمد كرزون، **منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله**، بحث لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، تاريخ النشر: 1415.

5 - **مسلم؛** مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو

الحسين، **صحيح مسلم**، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: 1427 – 2006، الطبعة الأولى.

6 – مغنية، محمد جواد، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، بيروت، دار الجواد، ط5، 1992م.

7 – ابن أبي شيبة؛ عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العبسي أبو بكر، **مصنف ابن أبي شيبة**، المحقق: أسامة بن إبراهيم بن محمد أبو محمد، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، سنة النشر: 1428 – 2008، الطبعة الأولى.

8 – ابن الجوزي؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، **صفة الصفوة**، المحقق: خالد مصطفى طرطوسي، الناشر: دار الكتاب العربي.

9 – ابن حجر ؛ الحافظ أبو الحجاج المزي – الحافظ ابن حجر العسقلاني، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي مع النكت الظراف على الأطراف** لابن حجر ، المحقق: عبد الصمد شرف الدين ، الناشر: المكتب الإسلامي (بيروت، لبنان) – الدار القيمة (بومباي، الهند) ، الطبعة: الثانية، 1403هـ – 1983م.

10- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة.

11 - ابن رجب؛ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، المحقق: عبده علي كوشك ، سنة النشر: 1436 – 2015، الطبعة الأولى.

12 - ابن رجب؛ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين، **شرح حديث لبيك اللهم لبيك**، المحقق: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان ، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر، سنة النشر: 1417، الطبعة الأولى.

13- ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار**، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، سنة النشر: 1414 – 1993، الطبعة الأولى.

14 - ابن عجيبة؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: 1419 هـ.

15 - ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين ، **بدائع الفوائد**، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي - جدة.

16- ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، 1395 - 1975.

17 - ابن كثير ؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** (ابن كثير)، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة الأولى - 1419 هـ.

18 - **ابن ماجه؛** محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).

19 - **البيهقي؛** أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، **الجامع لشعب الإيمان**، المحقق: مختار أحمد الندوي - عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 - 2003، الطبعة الأولى.

20- **الترمذي؛** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى ، **سنن الترمذي** ، المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: 1996، الطبعة الأولى.

21 - **الزنيدي؛** د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، **الطهر العائلي** ، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

22 - **السعدي؛** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م.

23 - **الصويان؛** أحمد بن عبد الرحمن الصويان، **في البناء الدعوي**، مجلة البيان 1422، الرياض، الطبعة الأولى 1422 - 2002.

24 - **المباركفوري؛** عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري أبو الحسن، **مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح** ، الناشر : الجامعة السلفية سنة النشر : 1405 – 1985.

25 - **المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، المحقق: صفوت السقا – بكري الحياني، الناشر : مؤسسة الرسالة.

26 - **الميداني؛** د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسُسُها، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة.

27 - **النسائي؛** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)،**المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 - 1986

28- **سيد قطب، معالم في الطريق**، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية السادسة، 1399هـ – 1979م.

29 - **محمد الغزالي، خلق المسلم**، دار النشر : نهضة مصر، سنة النشر : 1987.



روى البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)، لهذا فإن معرفة حقيقة أوصاف القلب هو أصل الدين، وأساس طريق السالكين.

ولقد أرشدنا القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من الآيات، وبين أن القلوب هي مركز الهدى، وأنها مبعث الحياة، وسرّ النجاة، ومهبط النور. ومحط نظر الحق سبحانه وتعالى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه : (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)، وبناء على ذلك، فإنه ليس أَرْوَحَ للمرءِ، ولا أَطْرَدَ لهمومِه مِن أنْ يعيشَ سليمَ الصَّدْر؛ ويلقى الله تعالى وهو سليم الصدر، قال تعالى فيس سورة الشعراء: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)، من هنا يتبين أن قيمة المؤمن إنما تَكْمُنُ في قَلْبه، وما يَحْمله هذا القلبُ مِن سُمُوٍّ وطُهْر.